الباب الرابع والثلاثون

باب قول لله -تعالى-:

﴿أَفَأَمِنوا مَكرَ اللّه فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللّه إِلا القَومُ الخاسِرونَ﴾

قناة التأصيل العلمي

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





١

الباب الرابع والثلاثون: باب قول الله -تعالى-:
(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)

ما علاقة الباب بكتاب التوحيد؟

أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته ينقصان التوحيد وينافيان كماله

وهذا الكتاب كله في موضوع التوحيد ومكملاته وبيان مناقضاته ومنقصاته

ما معنى مكر الله؟

إيصال العقوبة إلى من يستحقها من حيث لا يشعر

فالمكر في حق الله -تعالى- عدل وجزاء يحمد عليه

أما المكر في حق المخلوقين فهو مذموم لأنه بغير حق وهو ظلم للمخلوقين

ما هو نظير المكر أيضًا؟

الاستهزاء –الكيد– النسيان

هذه الأمور تنسب إلى الله -عز وجل- لأنها من باب المقابلة والجزاء فهي عدل منه حيث ينزلها فيمن يستحقها

ما هو السياق الذي جاءت فيه هذه الآية (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)؟

هذه الآية في سورة الأعراف جاءت في سياق ذكر الله -تعالى- للأمم الكافرة التي أحل الله بها عقوبته من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب

فأصابهم بالشدائد من الجوع والخوف والقحط والغلاء يفعل ذلك بهم لعلهم يدعونه ولعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون ويعلمون أن ما أصابهم بسبب ذنوبهم لكنهم لم يرجعوا

ثم إن الله -سبحانه- استدرجهم بالنعم لَمّا لم يرجعوا عند النقم أي: بدل الشدة والجوع والخوف بالحسنة وهي الغناء والسعة والثروة استدراجًا منه لهم

حتى (عفوًا) يعني كثروا وزادت قوتهم ونموا وصار لهم قوة واغتروا بهذه النعمة فهم لم يتوبوا عند النقمة ولم يشكروا عند النعمة

قالوا هذه الأمور تجري عادة ولم يعلموا أن ما أصابهم من العقوبات بسبب ذنوبهم وما أصابهم من النعمة فهو فضل من الله بل نسبوه إلى العادة

(فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) هذا هو المكر أن الله أخذهم في مأمنهم حيث لم يتوقعوا العقوبة

وهذا تحذير لنا من الله -تعالى- بأن لا نغتر بالنعم والثروات فنغفل عن شكر الله ولا نعمل بطاعة الله ولا نخاف من العقوبة ومن زوال هذه النعم


٢



كيف نعرف إذا كانت النعمة للاستدراج أو نعمة من الله تعالى؟

النعم إذا كانت مع المعاصي فهي استدراج

النعم إذا كانت مع الطاعات فهي نعمة من الله وعون على طاعته

ما نوع الاستفهام في قوله: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)؟

استنكار من الله تعالى -وهذا هو الشاهد- على من يغترّ بالنعم وينسى العقوبة أن يأخذهم على غِرة وهم آمنون منعَّمون ثم ينقلهم من النعمة إلى النقمة ومن الصحة إلى المرض ومن الوجود إلى العدم

(فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ): لا يأمن عقوبة الله التي تنزل على خُفية ومن غير تأهب ومن غير توقع لها

(إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ): الذين حقت عليهم الخسارة التي لا ربح معها أبداً ولا نجاة منها أبدًا

ماذا يستلزم الأمن من مكر الله تعالى؟

- يستلزم عدم الخوف من الله تعالى
- يستلزم الاستمرار في المعاصي والزيادة منها
- يستلزم ترك التوبة والرجوع إلى الله تعالى

ما علاقة الأمن من مكر الله بالتوحيد؟

ينافي التوحيد لأنه يدل على عدم الخوف من الله تعالى

وقوله: (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)

ما نوع الاستفهام في الآية؟

إنكار من الله -تعالى- وهو بمعنى النفي أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه

من قائل هذه الجملة؟

إبراهيم -عليه السلام- لما أتته الملائكة بالبشرى بالولد وكان لا يولد له فاستبعد ذلك وقالوا له (فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ)

وهذا محل الشاهد (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) أي لا أحد يقنط من رحمة ربه إلا الضالون عن الحق لأن المؤمنين وخاصة الأنبياء يعلمون من قدرة الله وفضله وإحسانه مالا يعلمه غيرهم ويعلمون من قرب رحمته وفرجه ما لا يعلمه غيرهم





(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) ← مشروعية الخوف

(وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) ← مشروعية الرجاء

في هاتين الآيتين

مشروعية الجمع بين الخوف والرجاء ووجوب الجمع بينهما

- فلا يكون خائفًا فقط لأن هذا يقنّطه من رحمة الله فلا يتب
- ولا يكون راجيًا فقط لأن هذا يؤمنه من مكر الله فلا يترك المعاصي بل يزيد منها

ولهذا يقول العلماء:

- "من عبد الله بالخوف فهو حروري"
- "ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ"
- "فيجب على المؤمن أن يكون معتدلًا بين الخوف والرجاء"

وعن ابن عباس أن رسول الله -ﷺ- سئل عن الكبائر ؟ فقال: (الإشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله)

أكبر الكبائر ← الإشراك بالله وهو عبادة غير الله بأي نوع من أنواع العبادة وأياً كان المعبود

ما حكم القنوط من رحمة الله ؟ ← من أكبر الكبائر

- لأن فيه إساءة ظن بالله
- ولأنه يحمل صاحبه على عدم التوبة

والله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)

فالتوبة تَجُب ما قبلها مهما كان الذنب، الشرك، الكفر، قتل النفس، الزنا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له

ما حكم الأمن من مكر الله؟ ← من اكبر الكبائر



وعن ابن مسعود قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من من روح الله" رواه عبد الرزاق

على ماذا يدل قول ابن مسعود رضي الله عنه؟

يدل على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر والكبائر تختلف بعضها أكبر من بعض

وأعظم الذنب وأكبر الكبائر: الإشراك بالله تعالى

ما الفرق بين "اليأس من روح الله" و"القنوط من رحمة الله"؟

القنوط واليأس متقاربان وكلاهما فيه استبعاد لرحمة الله عز وجل وسوء ظن بالله تعالى

اذكري أمثلة على عدم يأس وعدم قنوط الأنبياء عليهم السلام

إبراهيم عليه السلام	لم يقنط من رحمة الله أن يرزقه الولد ورُزق
يعقوب عليه السلام	موقفه عندما فقد أولاده الثلاثة وأعادهم الله -تعالى- له
أيوب عليه السلام	الذي بلغ به الضر مبلغًا شديدًا ولم ييأس من رحمة الله
محمد ﷺ	لمّا خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الله وردوا عليه ردًا قبيحًا وأغروا العبيد والسفهاء برميه بالحجارة هو ومولاه زيد بن حارثة ورجع وأهل مكة كلهم أعداء له فقال له مولاه زيد: يا رسول الله كيف ترجع إليهم وهم قد أخرجوك قال: "يا زيد إن الله جاعلٌ لِمَا ترى فرجًا ومخرجًا"

٥



أحكام مستفادة من نصوص الباب:

١ تحريم الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله وأنهما ينقِّصان كمال التوحيد أو ينافيان التوحيد

٢ يجب على المسلم أن يجمع بين الخوف والرجاء فيكون خائفًا وراجيًا دائمًا وهذا هو التوحيد وهو صفة أولياء الله

٣ أن المعلم والداعية يبدأ بالأهم فالأهم

لأن الرسول -ﷺ- لما أراد أن يعلم أصحابه الكبائر بدأ بأهمها وهو الشرك بالله

ثم ذكر بعده الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله

٤ عرف العلماء الكبيرة: (ما رُتب عليها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة أو خُتم بغضب أو لعنة أو نار أو تبرأ النبي -ﷺ- من صاحبها أو نفى عنه الإيمان) هذه ضوابط الكبيرة

والصغائر هي: ما ليس كذلك مما حرمه الله ونهى عنه ولم يصل إلى حد الكبيرة وتسمى اللَّمَم

ولكن لا يحمل هذا الانسان على أنه يتساهل بالصغائر، لأن الصغائر إذا تُسوهل بها جرت إلى الكبائر والصغيرة تعظُم حتى تكون كبيرة مع الإصرار

٥ ما الفرق بين الكبائر والصغائر من حيث التكفير؟

الصغائر
تُكفر بالأعمال الصالحة

مثل الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان

الكبائر
لا تكفر إلا بالتوبة أو بعفو الله تعالى

بخلاف الشرك فإنه لا يكفّر إلا بالتوبة

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.